مجلة المنهل ـ المجلد: 08، العدد: 01 (2022 م) ـ ص ص 725 – 742
ISSN : 2437 – 1068 • EISSN 8392-2710

معوقات الخطاب الدعوي المعاصر وسبل معالجتها في ضوء الشريعة الإسلامية

Obstacles of contemporary advocacy discourse and ways to address them in the light of Islamic Sharia

د. محمد السعيد مسعي (*)
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
mesai-mohammed-said@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/06/25	2022/05/22	2022/06/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

يعتبر الخطاب الدعوي المعاصر إحدى ألوان الخطاب الديني المستوحى نصه وأحكامه من فيض الوحى في القرآن الكريم، حيث اتسم هذا الخطاب عن بقية الخطابات الأخرى بالدعوة والتوجيه الارشاد، غير أنه لم يسلم بطبيعته من المشكلات والتحديات المعاصرة التي تعتريه من جانب لآخر، لذا جاءت هذه الدراسة تهدف إلى تبيان ومعرفة جملة من التحديات والمشكلات التي تعترض الخطاب الدعوي في مساره وبيان سبل معالجتها في ضوء القرآن الكريم، وقد جاءت الدراسة وفق ورقة بحثية علمية مفصلة في ثلاث نقاط، أولا: تحديد المفاهيم، ثانيا: أبرز مشكلات الخطاب الدعوي المعاصر في ضوء التحديات الراهنة ثالثا: سبل معالجة معوقات الخطاب الدعوي، وقد انهيت الدراسة بخاتمة تتضمن جملة من النتائج المتوصّل إليها.

الكلمات المفتاحية:

المعوقات؛ الخطاب الدعوي؛ المعاصر ؛ المعالجة؛ القرآن الكريم.

Abstract :

Contemporary advocacy discourse is one of the types of religious discourse, which Its text and rulings are derived from the abundance of revelation in the Noble Qur'an, This discourse was distinguished from the rest of the other discourses by call and guidance, However, this discourse, by its nature, has not escaped from the contemporary problems and challenges that it faces from one side to the other, so this study was outcome to know a number of contemporary challenges which it is exposed (the call speech), In its course and statement of ways to address it in the light of the Holy Koran, The study followed a detailed scientific paper on three points: First of all, Conceptualization Secondly, Highlights the problems of contemporary advocacy in the light of current challenges, Thirdly, ways to address obstacles to advocacy, and the study concluded with a series of findings.

Keywords:

obstacles; advocacy speech; contemporary; processing.

(*) المؤلف المراسل.

1ـ مقدمة

يُعد الخطاب الدعوي المعاصر إحدى أنماط الخطاب الديني المستوحى نصه وأحكامه من فيض الوحى في القرآن الكريم، حيث انفرد هذا اللون من الخطاب عن بقية الخطابات الأخرى بالدعوة والتوجيه والارشاد فيما أمر به الله تعالى، وما يحقق مقتضى توحيد الله على أرض الواقع، غير أنه لم يسلم بطبيعته من المشكلات والتحديات المعاصرة التي تعتريه من جانب لآخر، نتيجة لضعف الدعاة في إيصال الدعوة وابتعادهم عن المنهج الدعوي المستوصى به في القرآن والسنة المطهرة.

إن المتتبع لمنهج القرآن الكريم في مخاطبة الناس وأطياف الأمم وشرائح المجتمع، يجد أنه قد أحاط بكل شيء علما ومنهجا ما يضمن بذلك ديناميكية الحركة الدعوية وإيصالها إلى أبعد أفق، بخلاف ما تشهده الدعوة المعاصرة من ضعف على مستوى الداعي والمدعو، وفي هذا المضمار أرسى الشارع الحكيم في تحكيم هذه المسألة الدعوية عدة معالم وأسس يرتكز عليه الداعية، وتجعل منه أهلية لإيصال رسالة الإسلام إلى الناس كافة دون عواقب وتحديات، والناظر في معالم الدعوة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجد أنه ﷺ قد رسم المنهج الدعوي السليم لمن استخلف أمر الخلافة الدعوية من أمته وكان خير تفسير عملي لما استوحاه من النص القرآني، وإن للخطاب الدعوي مشكلات فلابد من تحكيمها في ضوء الكتاب والسنة، ومن منهج معالجة هذه المعضلات

إشكالية البحث: في خضم معطيات هذا البحث نطرح الإشكالية التالية: فيما تتمثل مشكلات الخطاب الدعوي المعاصر؟ وما هي أبرز الحلول المناسبة له؟ ومن الأسئلة الفرعية فيما تتمثل مشكلات الخطاب الدعوي على مستوى المضمون؟ وفيما تتمثل أيضا على مستوى أساليبه ولغته؟

وللإجابة على هذه الإشكالية قمت بوضع خطة علمية كفيلة بالإجابة عن كل هذه التساؤلات مرسومة ضمن متن الموضوع تناول مدخل مفاهيمي لمصطلحات الموضوع، وبيان أبرز خصائص الخطاب الدعوي، وذكر أهم المعيقات التي تعتري الخطاب الدعوي المعاصر وذكر بعض الحلول المناسبة لكل مشكلة.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى إلقاء نظرة عامة حول مشكلات الخطاب الدعوي المعاصر، وبيان وجه الضعف سواء على مستوى الداعية أو على مستوى لغة الخطاب ومضمونه. كما يهدف أيضا إلى معرفة ما يمكن أن يستفيد منه الداعية أثناء دعوته للخروج من مزالق الأخطاء الدعوية.

بالإضافة إلى جملة الأهداف السابقة يهدف الموضوع إلى توعية الداعية أثناء تحضير الخطاب الديني الدعوي إلى الإحاطة التامة بواقع المدعوين ومضمون الرسالة بما يتوافق مع روح الاستجابة للخطاب،

ومن أجل هذا الأخير وجب على كل داع إسقاط النصوص الدينية على محيط المشكلة المراد معالجتها وفق ضوابط الدين بشرط إلاَّ يخرج عن الموضوع أثناء المعالجة الدعوية.

المنهج المتبع: اقتضت طبيعة الدراسة اتباع المنهج الاستقرائي كذا المنهج الوصفي التحليلي الذي يحتم جمع المادة العلمية للموضوع وتحليليها على أبسط وجه؛ وكون الموضوع فيه عملية وصف لأبرز المشكلات وتحليلها بغية إيجاد حلول مناسبة فقد وجب اتباع المنهج الوصفي التحليلي.

2ـ تحديد المفاهيم

2-1- مفهوم المعوقات والخطاب الدعوي

2- 1- 1- مفهوم المعوقات:

- لغة: جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة من مادة (ع و ق): عاق يعوق، عوقاً، فهو عائق المفعول معوق. عاقه المرض عن السفر: منعه منه، شغله أو أخَّره عنه. أعاقه عن إنجاز عمله: منعه، شغله عنه، أخّره وثبطه "إعاقة المرض عن المشي–تعد إعاقتهم عن ممارسة حقوقهم" (معجم اللغة العربية المعاصرة، 2008م، 1577).

وفي المعجم الوسيط: (تعوق): امْتنع وتثبط (المعجم الوسيط، ج2، 637)

- **اصطلاحا:** من خلال التعاريف اللغوية نستنتج أن المعوقات الدعوية هي المثبطات التي تقف أمام وجه الخطاب الدعوي وتمنعه من تفعيل قيمه على مستوى اللغة ومضمون الخطاب أو على مستوى وسائله أساليبه.

2- 1- 2 - تعريف الخطاب الدعوي:

•الخطاب لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "يُقَالُ: خَطَبَ فلانٌ إِلَى فلانٍ فَخَطَّبَه وأَخْطَبَه أَي أَجابَه. والخِطابُ والمُخاطَبَة: مُراجَعَة الكَلامِ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ" (ابن منظور، 1414هـ، 361)

وفي أساس البلاغة للزمخشري في مادة (خ ط ب): "خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام. وخطب الخطيب خطبة حسنة. وخطب الخاطب خطبة جميلة. وكثر خطّابها. وهذا خطبها، وهذه خطبه وخطبته. وكان يقوم الرجل في النادي في الجاهلية فيقول: خِطْب، فمن أراد إنكاحه قال: نكحٌ. واختطب القوم فلاناً: دعوه إلى أن يخطب إليهم، يقال: اختطبوه فما خطب إليهم" (الزمخشري، 1998م، 255).

الخطاب اصطلاحا:

للخطاب الدعوي عدة تعريفات وذلك حسب رؤية كل باحث، غير أن نقطة الوصول في تحديد المفهوم تشترك في أفق واحد، ونذكر من هذه التعاريف:

يعرفه المناوي بقوله: "الخطاب هو القول الذي يفهم المخاطَب منه شيئاً" (المناوي، 1990م، 156).

ومن مشتقات لفظة الخطاب نجد الخطابة ويعرفها عبد الحليم محمود بقوله: "وهي لون من ألوان القول، يحشد له الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير في سامعيه، وجذبهم إلى جانب ما يدعوهم إليه عن طريق: الإقناع بما يسوق من حجج وبراهين. والإمتاع بحسن اختيار الكلمات، وجميل العبارات، وملائم الإشارة، والدقة في اختيار الموضوع الذي يشد اهتمام الناس، مع حسن سمت الخطيب، وجميل صوته، وقدرته على إجادة فَنَّى الوصل والفصل في الكلام" (عبد الحليم محمود، 1990م، 169).

كما أن لفظة الخطاب لم تكن مستحدثة في منطق اللغة العربية أو في معجم علم الكلام وإنما جاءت حروفها بالشكل والبيان ضمن آيات القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ) (سورة ص الآية: 20).

ومنه فالخطاب عموما هو الكلام الموجه للناس يرمي بذاته إلى تحقيق غاية وهدف، ويختلف لون هذا الخطاب من وجهة لأخرى فمنه الخطاب الديني والسياسي، والخطب الاجتماعية... على غرار الخطاب الدعوي الذي هو صلب موضوعنا.

أما كلمة الدعوي يرجع إلى لفظة الدعوة وهي مستمد من الفعل الثلاثي (دعا)، قال ابن منظور: دَعا الرجلَ دَعْواً ودُعَاءً: نَادَاهُ، وَالِاسْمُ الدَّعْوَة. ودَعَوْت فُلَانًا أَي صِحْت بِهِ واسْتَدْعَيْته (ابن منظور، 258).

وقال أيضا: المرة الواحدة من الدعاء، وتداعى القوم دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا، والدُّعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو النَّاس إلى بدعة أو دين. (ابن منظور، 258–259)، وجاء في تهذيب اللُّغة: "المؤذن داعي الله، والنَّبي ﷺ داعي الأمَّة إلى توحيد الله وطاعته" (الأزهري، 2001م، 77)،

وقد جاء مصطلح الدعوة في القرآن الكريم في عدة مواضع من الآيات منها قوله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (سورة فصلت الآية 33). وقال تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا) (سورة نوح الآية: 5). وقال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (سورة يوسف الآية 108).

أما في الاصطلاح فقد جاءت الدعوة بعدة تعريفات منها:

عرّفها علي محظوظ بقوله: "حث النَّاس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل" (علي محفوظ، 1979م، 17).

وعرَّفها محمد الغزالي بقوله: "هي برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها النَّاس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطَّريق التي تجمعهم راشدين" (محمد الغزالي، 2005م، 13).

وعليه، فمن خلال ما سبق من تحديد الدلالة اللغوية لمصطلحي الخطاب والدعوة نستنتج تعريف شامل للخطاب الدعوي، وهو الخطاب الديني المستمد معالم نصه من فيض وحي الرسالة الإلهية التي بُعث بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والذي يرمي بذاته إلى توجيه الناس إلى ما فيه الخير، ودعوتهم إلى استجابة الدعوة إلى الإسلام وحثهم على تفعيل مجريات أحكام الدين الإسلام وقيمه النبيلة بدءا بالشعائر الإسلامية الخمس وصولا إلى مقام الإحسان مع مراعاة أحوال الناس في واقعهم.

2، 2- خصائص الخطاب الدعوي:

يتميز الخطاب الدعوي بعدة خصائص أفرزته عن بقية الخطابات مما جعلت منه خطاب متميز يتماشى مع كافة الظروف الاجتماعية على كافة الأصدة ومن هذه الخصائص نذكر:

1- خطاب رباني:

المقصود بالرباني بأنه خطاب من عند الله الواحد الأحد رُسمت خطوطه في صفحات لم تزل محفوظة إلى يوم القيامة وأصيح مستند وممد كل الخطابات الدينية الآخرة المتواجدة في بضع آيات من جملة من السور الكريمة على غرار الآيات التي جاء فيها صيغة النداء الموجهة لكافة الشرائح الاجتماعية على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم وأقاليمهم وتنوع بيئاتهم، ومن ضمن تلك الآيات قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (سورة المائدة الآية 15-16) وقال أيضا: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) (سورة الشعراء الآية 192-196)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (سورة البقرة الآية 172)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (سورة البقرة الآية 208)، وفي ضوء الآيات تتجلى استمدادات الخطابات الدينية على اختلاف تنوعها واتجاهاتها ومجالاتها، بما فيها الخطاب الدعوي.

2- خطاب شامل:

الله سبحانه وتعالى لما خاطب البشرية خاطبها بخطاب شامل يحيط بجميع أطياف المجتمع مع مراعاة مقتضيات الحياة ومتطلباتها، فقد جاء الخطاب الدعوي في القرآن الكريم خطاب محيط بشمولية الزمان والمكان لقوله تعالى: (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (سورة الأنعام الآية 38)، وقال تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا) (سورة النبأ، الآية 29)

ومن المعلوم أن "((الشمول)) من الخصائص التي تميز بها الإسلام عن كل ما عرفه الناس من الأديان والفلسفات والمذاهب، بكل ما تتضمنه كلمة ((الشمول)) من معان وأبعاد. إنه شمول يستوعب الزمن كله، ويستوعب كيان الإنسان كله" (القرضاوي، 1983م، 105) وفي هذا يقول الحسن البنا ضمن رسائله: "إنها الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة" (القرضاوي، 1983م، 105). وهذا خير دليل على شمولية الخطاب الدعوي لكافة أطياف البشرية دون استثناء لكل زمان ومكان، لذا جاء هذا الأخير موجه للناس جميعا في كل أصقاع العالم حتى لا تكون حجة للناس حجة في إبلاغ الدعوة ، ومن أجل ذلك أرسل سبحانه وتعالى رسوله ﷺ إلى الناس كافة بخلاف من سبقه من الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام– لقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سورة سبأ الآية 28).

كما أن الخطاب الإسلامي في ذاته لم يقتصر في جوانب التشريع على جهة دون أخرى بل "جاءت تشريعات الإسلام شاملة لأنواع الناس ولكافة مراحل تطور الإنسان من الميلاد إلى الوفاة، وبذلك الفرد كله والمجتمع بأسره. والناظر في تشريعات الدعوة الإسلامية، يرى أنها كانت مع الإنسان جنينًا في بطن أمه وبعد مولده وفي شبابه ورجولته. وتسايره هكذا في أطواره المختلفة حتى تسلمه لأجله. ويرى أنها تضع القوانين التي تمهد لوجود الإنسان مستقيما سوياً في الدنيا والآخرة، وتنظم سائر ما تركه بعد موته" (أحمد غلوش، 1987م، 200).

3- خطاب عالمي:

إن الحديث عن عالمية الخطاب الدعوي يجرنا الحديث عن عالمية رسالة الإسلام وعالمية القرآن، فالإسلام ونص القرآن لم يأت إلى فئة معينة دون أخرى أو زمان دون زمن آخر بل جاء للناس جميعا، وفي ضوء هذا الأمر يتميز الخطاب الدعوي في القرآن الكريم بصفة العالمية على غرار أنه كلام موجه

لناس عامة تجسيدا لقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سورة سبأ، الآية 28) حيث يهدف إلى تحقيق غاية مثلى وهي دخول الناس في الإسلام والامتثال لأوامر الله تبارك تعالى، وفي هذا انفرد الخطاب الدعوي عن بقية الخطابات البشرية المتصفة بالوضعية التي لا يتخللها النقص والانحياز وعدم تعميم الفائدة، بحيث إن أفاد من جانب ترك جانب آخر وهذا يتنافى مع الخطاب الديني.

4- خطاب ثابت ومرن:

يتسم الخطاب الدعوي في القرآن الكريم بصفة الثبات والمرونة، فالثبات في الأحكام والمبادئ الشرعية والمرونة في الوسائل والأساليب، فالخطاب القرآني يواكب كل عصر وكل مستجدات الزمن حيث "أن من مزايا التشريع الإسلامي، أنه يجمع بين الثبات والمرونة، فالثبات في الأصول والأهداف، والمرونة في الفروع والوسائل. ففي ظل هذه الخصيصة لا يوجد تعارض بين وجود الثوابت وتحقق التطور الدائم، بل هو يجمع في تناسق بديع بين الثبات والمرونة، واضعا كلا منهما في موضعه الصحيح، فالثبات في ما يجب أن يخلد ويبقى، والمرونة في ما ينبغي أن يتغير ويتطور، وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين، وآية من آيات عمومه وخلوده وصلاحيته لكل زمان ومكان" (إياد كامل إبراهيم الزيباري، 59).

5- خطاب واقعي:

المقصود بالواقعية في الخطاب الدعوي هو أخذ الواقع بعين الاعتبار، فلا يمكن الحديث عن مسألة ما دون مراعاة لواقع المدعوين لذا يستمد الخطاب الدعوي قوته في الاستجابة والأثر من الواقع يقول ابن القيم (رحمه الله): " ولا يتمكَّن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان قوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر؛ فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرا؛ فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتَّفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله، كما توصل شاهد يوسف بشق القميص من دبر إلى معرفة براءته وصدقه، ... ومن تأمل الشريعة وقضايا الصحابة وجدها طافحة بهذا،

ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسبه إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله" (ابن قيم الجوزية، 1423هـ، 26)

6- خطاب وسطي:

إن المتأمل في النصوص القرآنية بجميع خطاباتها يرى في ذلك تجليات مبدأ الوسطية والاعتدال، نظرا لتفاوت المقدرة بين الناس، ومن أجل ذلك سقطت بعض التكاليف الشرعية عن أناس لم تكن في استطاعتها في حين ذلك ألزم بها آخرون وعبر عنها الوحي المنير بقوله تعالى: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) أليس ذلك من سماحة الإسلام وعدله واعتداله وأمر الشارع الحكيم بالتحلي بمبدأ الوسطية انطلاقا من قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (سورة البقرة، الآية 143) وقد وصى الشارع باتباع الصراط المستقيم الذي يكفل للمرء حياة سعيدة في الدنيا والآخرة قال تعالى: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (سورة الأنعام الآية 53) بحيث لم ولن يخضع هذا الصراط المنوط إلى الاعوجاج والانحراف .

والوسطية فهي ضمن مقتضيات الصراط المستقيم وأن ما بين أطرافه غلو وتفريط وتثمينا لذلك نرى فعل فإبليس عليه لعنة الله لما حكم عليه الله تعالى بالغواية أحب أن يقعد لعباد الله في الصراط المستقيم قال تعالى: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) (سورة الأعراف، الآية 16) ليزيحهم عن المنهج الوسطي وأن يحدث فيهم مبدأ الغلو والتطرف عن الدين، ومنه فالخطاب الدعوي جاء خطاب وسطي معتدل في الأمر والنهي، ومن صور الوسطية في الحكم قال تعالى: (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(سورة النور الآية 48-50).

3. مشكلات الخطاب الدعوي المعاصر وسبل معالجتها

3_1_ انقطاع الخطاب الدعوي عن احتياجات المجتمع وبعده عن التعرض لمشكلاته ومتطلباته:

يعد "انقطاع الخطاب الدعوي عن احتياجات المجتمع وبعده عن التعرض لمشكلاته ومتطلباته" (عزة مختار، 2017) من أكبر المعيقات التي تواجه بنية الخطاب في أداء الرسالة الدعوية، بحيث أدت هذه المشكلة إلى تفاقم الأوضاع السيئة داخل المحيط الإسلامي، ويعود السبب في ذلك عندما تخلت المنظومة الاجتماعية عن النسق القرآني الممنهج منهجا ربانيا، والذي يواكب عبر ممر العصور فلسفة الحياة

الإنسانية والإحاطة بمستجداتها وما يخدمها بكل الآليات المادية والمعنوية والأنماط العلمية، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)(سورة إبراهيم الآية:4)، ولما تقاسم رجال الدعوة معتركات الحياة المادية والتوغل في جزئياتها دون اعتبار للجانب الروحي منها، اختلت موازن العدل في منظومة الخطاب الدعوي مفتقدا الجوهر الذي بُنِيَ عليه وأرسل به، وفي حين ذلك ظل المدعو يتخبط بين هذا وذاك ضمن مجريات الحياة، وأصبح ضائعا بين النظرية وتيه الممارسة، لا يكاد يميز بين سنن الحق وأهواء الباطل، وتتجلى بعض صور هذه الظواهر عبر المنصات الدعوية في المساجد ومحافل المناسبات الاجتماعية وعبر المنابر الإعلامية في إيصال الرسالة بخلاف ما ينادي به واقع المجتمع.

وفي ضوء هذه الصور من التحديات نجد أن الدعوة في منحى وما يشهده المجتمع في منحى آخر، وهذا ما يتعارض كليا بين روح الخطاب وحتمية الواقع، وإن دل هذا فإنما يدل على تغافل بعض الدعاة من اسقاط الآيات على الواقع المعيش وتحكيمها وفق ما يحيط بالمجتمع من الانحرافات والمعضلات التي تحد من الرقي بذات الفرد إلى مستوى الوعي بأهمية النص وتطبيق أحكامه حبا وطوعا للشارع لا كرها وإرغاما، وفي ذلك يقول العلي القدير في محكم التنزيل: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (سورة البقرة الآية 256)، وعليه فحل هذه المشكلة يكمن في الجمع بين ما تدعو إليه النصوص وما يتطلبه الواقع الدعوي، وفي هذا المنحى يجب على الدعاة التبصرة بحدة ثاقبة إلى شرعية وأسس الخطاب الدعوي في القرآن؛ لأن النصوص والآيات الشرعية المستمدة من فيض الوحي الإلهي ليس تمثالا أو صورا ومظاهر أو قراءة يتمتع بها الإنسان تلاوة وإنما هي أحكاما وتشريعات يستأنس بها الفرد أولا في فهم مجريات السنن الكونية التي يطوف بها بصر الإنسان ظاهرا وباطنا، وثانيا يستأنس بها في تطبيق الأوامر للمحافظة على ديناميكية حياته واستمراريتها وفق ما يكفل له الحياة الطيبة، ويكون الداعية وفق هذه الضوابط قد أدى بدوره إلى استجابة الخطاب الدعوي من طرف المدعو.

3.2ـ النقل من كتب أهل العلم دون مراعاة حال المخاطبين:

فمن ضمن مشكلات الخطاب الدعوي لا سيما في الآونة الحديثة والمعاصرة "النقل من كتب أهل العلم دون مراعاة حال المخاطبين"(عزة مختار، 2017م)، حيث شهد الخطاب الدعوي لا سيما في الآونة ضعفا كبيرا على مستوى عقلية الدعاة وقلة زادهم العلمي، ما أدى بذلك إلى ضيق مدارك الفهم السليم للقراءة الراشدة للنصوص، وانحراف اسقاطها وفقا للفكر المهتدي على ما ينادي به الواقع الاجتماعي عند بعض الدعاة، وذلك بالنقل من أمهات الكتب دون حكمة وجدوى لما يتطلبه الواقع، فإنزال النصوص يترتب عليه بالدرجة الأولى فهم طبيعة القوالب والأنماط الاجتماعية، لتكون استجابة الخطاب الدعوي أكبر، وإذا كان الداعي ينقل من الكتب دون اعتبار إلى ما لا يوائم طبيعة المدعوين وهنا فقد كان ضره أكبر من

نفعه، بل الواجب في التقديم أن يراعي بذاته حال المدعوين وما يناسبهم من القول والعمل وفي هذا السياق يقول ابن قيم الجوزية (رحمه الله تعالى): "من أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتاب من كتب الطب على أبدانهم، بل هذا الطبيب الجاهل وهذا المفتي الجاهل أضر ما على أديان الناس وأبدانهم" (ابن قيم الجوزية، 1423هـ، 52).

ومن أجل هذا حذرت السنة النبوية –على صاحبها الصلاة والسلام– من الوقوع في مثل هذا المزالق الدعوية، حيث نستشف خير دليل على ذلك في ما راه مسلم في صحيحه عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً» (رواه مسلم، 1991م، 11)، ومن السنة أيضا ما رواه البخاري في صحيحه: " وَقَالَ عَلِيٌّ: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ» (البخاري، 2002م، 45) وعلى هامش هذا الحديث نرى أن " فكثير من الخطباء والوعاظ والدعاة في الدروس والخطب ينقلون من كتب أهل العلم دون أن يراعوا حال المخاطبين، فيقع التنافر الشديد بين الطرح وبين عقلية المتلقي" (عزة مختار، 2017)، فمسألة النقل تتطلب من الدعاة الحكمة والتبصرة بما يتوافق مع منطق النص والواقع المعيش، فربما يكون النقل في غير محله فتصبح المفسدة أكبر من جلب المصلحة، وهذا ما يترتب عليه ضعف في استجابة الخطاب الدعوي وتنفير المدعو من الامتثال لأوامر الشارع الحكيم.

ولمعالجة هذه المشكلة يجب على الدعاة الإحاطة أولا بكل ظروف وحال المدعوين، ومعرفة ما يناسبهم من الأحكام الشرعية سواء على مستوى لغة ومضمون الخطاب أو على مستوى دائرة الوسائل الأساليب الدعوية التي تؤدي الغرض الهدائي من ذلك الخطاب، ثم الانتقاء من كتب أهل العلماء ما يشفي عللهم، ويزيد من استجابة الخطاب الدعوي وما يؤدي إلى اتساع محنى المجال الدعوي.

3_3_ الاهتمام بالجزئيات دون الكليات:

تعتبر قضية الاهتمام بجزئيات المسائل الدعوية –دون النظر إلى الكليات فيها التي من شأنها الإحاطة بكل الجزئيات– من أكبر المعضلات التي تُحطُ بها الدعوة وأحكامها، غير إن الإسلام حين وضعت شرائعه لم تكن في منهجه فكرة الاهتمام بالجزئيات والاعتناء بها على حساب الكليات منها، بل جاء منهجه منظومة دعوية متكاملة النسق في الوظائف والأدوار، استمد معالمه من خصائص الوحي الإلهي، وهذا الأخير لم يكن في سياق منهجه الالتزام بالأدنى دون الأقصى منه، وإنما راع في ذلك مقتضيات فلسفة الحياة وإعطاء الأولوية فيها بما يناسبها وما يستدعي الاهتمام بها، وخير دليل على ذلك أن الإسلام

لما اختير للناس كدين يكفل لهم سعادة الدارين، ويضمن لهم الحياة الطيبة جاءت أحكامه مرتبة ترتيبا يتماش إيجابا مع كل زمن ومتطلباته، ولما بدأت تشريعاته تستقطب أرض الواقع والتطبيق، جاءت أولوياته والدعوة إليه الاهتمام بأركانه الخمسة المعروفة أولا، باعتبارها الحقل الواسع التي تدور في أفلاكه جميع الفروع التشريعية وأحكام نصوصها الشرعية، وبعد ذلك يأتي الاهتمام بقواعد وأركان الإيمان وما انجر عنه وصولا إلى ذروة سنام الإسلام وهو دائرة الإحسان، ويتجلى هذا كله من في حديث جبريل مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعلم الناس دينه الذي ارتضاه الحق تبارك وتعالى لهم.

ومن اللافت للانتباه في مسببات هذه المشكلة نرى "أن بعض هؤلاء الدعاة الذين يزعمون أو يعتقدون محاولة الاصلاح والتغيير، هم الذين يتسببون أحيانا في إثارة بعض الجزئيات وإشغال الناس بها وصرفهم عن معالي الأمور وعما عداها، هم الذين يتسببون في ذلك لأنهم يطرحون وجهات نظرهم بطريقة غريبة، طريقة استفزازية طريقة غير موضوعية وغير صحيحة أيضا، ولعل أقرب مثال أن أحد كبار المفكرين كتب قبل يومين في جريدة سيارة في هذه البلاد وكتب بخط عريض: لا يوجد دليل من القرآن والسنة على تغطية المرأة وجهها. فإذا أثار هذه القضية فمن الطبيعي أن يكون هناك نقد ورد وأخذ وعطاء في هذه المسألة، وليس صحيحا أن يطرح إنسان وجهة نظره في قضية معينة، ثم إذا طرحت وجهة نظر معارضة قال: يا أخي هذه جزئيات قشور هذه توافه" (سلمان العودة، 2002م، 9) .

إذا فالمسألة في هذا السياق ليست قضية تلاعب الداعية بمبدأ الشرع في التقديم والتأخير، وإنما هو أمر يستدعى فقه الأوليات في عرض وتقديم أحكام الدين بما يتناسب مع واقع وحال المدعو، فالأولى في ذلك الاهتمام بجانب الأحكام الكلية الثابتة من تشريعات الإسلام ثم الاهتمام بالفروع منه، وبهذه الصورة يكون الداعية قد أحاط بما أمر الله به أن يوصل لعباده وفق الصورة المثالية المنشودة في القرآن والسنة.

وللخروج من هذه المشكلة وحلها لابد من العناية والاهتمام البالغ من طرف الدعاة بجانب الكليات في منحى الخطاب الديني، والاتيان بدرجة أولى بالأصول من الكليات منه بدل الجزئيات ثم التدرج في عملية التطبيق والامتثال وصولا إلى الجزئيات، وفي هذا الصدد جاءت الأوامر الإلهية متماشية مع طبيعة ما فُطر عليه الناس، لذا أتت الأحكام الشرعية بالتدرج العملي، فعلى سبيل المثال في أركان الإسلام الخمس جاءت شعائره مرتبة وفق ما تقتضي إليه حقوق الله تعالى ومن أجل ذلك كانت البداية بالشهادة بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد رسول الله ﷺ وهي كلية مطلقة تسبح بداخلها جميع الشرائع السماوية، ثم

جاءت الصلاة باعتبارها عمود الدين والفاصل الحقيقي بين الإسلام والكفر، وهكذا هو الحال وصولا إلى آخر شعيرة من أركان الإسلام، قال تعالى: (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (سورة المجادلة الآية: 13)، وهذا كله لابد على الدعاة أن يكونوا مثلما أراد الله عز وجل القرآن والسنة.

4.3 التزوير الناعم المقنع للمضامين الإسلامية:

ومن بين أبرز مشكلات الخطاب الدعوي مشكلة " التزوير الناعم المقنع للمضامين الإسلامية " (عطية عدلان، 2013)، لقد أدت هذه المشكلة إلى تظليل العديد المفاهيم الإسلامية، وتعري بعض النصوص من مقاصدها وتوضيحها بأساليب في غير محلها، ما أدى ذلك كله إلى اختلال فلسفة تأويل نصوص الخطاب الدعوي بصورة خاطئة.

وتظهر صور هذه الاختلالات في وضع أحاديث النصوص الشرعية في غير مكانها، واسقاط النص في غير محله، ويعملون على سبيل الجد على تلفيق كل ما ليس له تأثير دعوي، وفي هذا نجد أن مشكلة التزوير الناعم " خطورته لا تقل عن وضع الأحاديث واختلاق الأكاذيب، من صور هذا التزوير سوق النصوص الصحيحة في غير ما وردت فيها، وحملها على معان بعيدة، وتحميلها ما لا تحتمل من الدلالات والمعاني والأحكام، فمثلا ترى من هؤلاء من يحشد النصوص الكثيرة لتفسيق وتخطئة الشعوب الإسلامية التي ثارت على الطغاة الظلمة. ورغم ما يحشدون من النصوص الصحاح لدعم دعواهم لا يزدادون إلا شذوذا عن الحق وصدمًا للفطرة ومجافاة للواقع والشرع معًا" .(أسماء علي وآخرون، 2013)، ولقد أدت هذه المشكلة إلى نفور المدعو وابتعاده عن الامتثال لأمر الله تعالى بسبب هذه الأخطاء، ولحل هذه المشكلة على الدعاة أن يجعلوا لكل واقعة أو حادثة ما يتلاءم مع نصوصها في القرآن والسنة، ويجب على الكل أن يكون منطلق الدعوة من حيث متطلبات المدعوين؛ لأن القرآن كل شيء أحصاه وفصّله تفصيلا، ومن صور هذه التفصيلات أن صغيرة وكبيرة في مشكلات الخطاب الدعوي سواء على مستوى الداعية أو المدعو إلا جعل لهم سبيلا ومنهج كفيلا لإخراجهم من نفق هذه المشكلات قال تعالى: (وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(سورة الأعراف الآية: 52)، وقال أيضا: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (سورة هود الآية: 112)، وهكذا هي شرائع الدين وأحكام الخطاب في القرآن جاءت على منهج قويم وأسس متينة.

5.3 مجافاة الواقع:

من المعلوم أن لكل نص أرضية وواقع يُبسط على وجه معمورة كلاً منهما تَجسيد معالم أحكامه وفقه تشريعاته، فلم يكن النص مقروءا لذاته وإنما جاء نبراسا تستنير به العقول والقلوب في فهم قواعد الحياة وإدراك وتبصرة ما بُعثوا من أجله، فهذا هو عمل الدعاة بحيث ينقلونه ويحولونه من نص إلى واقع، ولكن عندما تتيه العقول تبتعد عن التفسير العملي للخطاب الدعوي في القرآن الكريم، وتَصرِف النصوص وتسقطها في غير محلها وهنا تحث عملية مجافاة الواقع، وهذه الأخيرة ما أثَّرت سلبا على طبيعة وجوهر الخطاب الدعوي وألبسته حلة من التحديات وأخذت أشكال متعددة من المعضلات، وأصبح الواقع حينئذ يفتقد معطيات الاستجابة للخطاب الدعوي اثرى غياب النصوص الدعوية وحركة أعلامها في الوسط الاجتماعي، فأصبح الدعاة في منعزل عن ما ينادي به الواقع ومعالجة مشكلاته ....

"ومن آثار مجافاة الواقع اعتماد الخطاب الدعوي المجرد دون الربط بواقع المجتمع، ودون التعرض لمشكلاته ومتطلباته، ما جعل تلقي الناس له مقطوعاً عن الاستجابة والعمل، وجعل خطبة الجمعة – مثلاً – واحة للاسترواح والاستجمام النفسي على أحسن تقدير. إن المجتمع لا يمكن أن يتفاعل مع خطبة الجمعة أو غيرها من أدوات الخطاب الدعوي حتى يشعر فيها بالطابع العملي التفاعلي، وحتى ترتبط بهمومه وطموحاته، وحتى يكون فيها العلاج لمشكلاته وأزماته، أما أن تظل المواعظ المجردة محلقة في سماء الروحانيات فهذا يعني أنها ستظل في عليائها محلقة مرفرفة دون أن تحرك الواقع أو تؤثر فيه." (عدلان عطية، 2013م)

ولحل هذه المشكلة لابد من مراعاة الدعاة والاهتمام البالغ بالواقع الدعوي وتهيئة أرضية الخطاب، ويجب أن يكون لكل خطاب دعوي أرضيته، ومن الحلول المناسبة الاهتمام بفقه الواقع واسقاط النصوص الدعوية على حسب متطلبات الواقع يقول ابن قيم الجوزية: " ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما. والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان قوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر؛ فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرا؛ فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله، كما توصل شاهد يوسف بشق القميص من دبر إلى معرفة براءته وصدقه" (ابن قيم الجوزية، 1996م، 69) .

6.3ـ تعدد المذاهب الحزبية والحركات الإسلامية واختلاف مناهج دعوتها:

تعتبر تعدد المذاهب الحزبية والحركات الإسلامية دون تقيد كل منهم بضوابط الشرع من أبرز التحديات التي تواجه الخطاب الإسلامي وتزيد من حدة استجابته على المستوى المطلوب، فقد أدت هذه المعضلة إلى ضعف استجابة الخطاب الدعوي، وذلك بنزع الثقة بين أعلام هذه الحركات إلا من كان مقيد بالكتاب والسنة قولا وعملا، ويعمل على استعادة القيم النبيلة التي اندست في طيات التاريخ خلال سيادة الحضارة الغربية.

ومن المعروف أن التحزب والتفرقة والتشيع ليست من صفات المسلمين، لقوله تعالى: (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)(الروم:32)، فنجد في الآونة الأخيرة ترعرع هذه الأحزاب والحركات الإسلامية واختلاف مناهجها وتعدد مساراتها وأصبحت تطعن في بعضها دون اعتبار للوازع الدين وسنن الاختلاف وآدابها، فالمطلوب كلا من هذه الحركات والتيارات الإسلامية أن تشترك في أفق واحد ألا وهو تحقيق حلم الخلافة الإسلامية بالقول والفعل وترجمة قيم القرآن الكريم إلى تفسيرا عمليا على أرض الواقع، وقد حذرنا القرآن من هذا التحزب المحظور ورتَّب عليه عقاب في قوله تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: 105). ولحل هذه المشكلة يجب على الدعاة وإن تعددت حركاتهم ومناهجهم أن يتلاءموا ويأتلفوا في حيز دعوي واحد ومشترك وهو تحقيق غاية الإسلام ونشره والعمل وفق وحدة ثابتة على أصول الأحكام الجامعة وتقريب الفروع فيما بينهم لتحقيق وحدة الأمة والمحافظة على كيانها من التمزيق والتفرقة المحظورة.

7.3ـ الفهم والتأويل الخاطئ للنصوص الشرعية:

يعد الفهم الخاطئ والجهل بالفكر المقاصدي للنصوص الشرعية من أكبر المعيقات والتحديات لديناميكية واستمرارية الخطاب الدعوي، فالداعية في حقيقة أمره مفوض عن الله عزو جل ورسوله الكريم في القول بإبداء الأمر والنهي للعباد، وإذا كان هذا الأخير قد انحاز قوله لفكره المنحرف وهواه المتبع فإنه وبالتأكيد يؤدي إلى ما لا يحمد عقباه.

إن من مشكلات الخطاب الدعوي المعاصر التقيد بأصول الأحكام مع الحقبة التاريخية، فلا بد على الداعية العاقل أن يدرك سنن الله الكونية في مجرى الزمن، فالماضي لم يعد صالحا لدراسة المستقبل غير

أنه يستمد أصوله منه ومبادئه التاريخية، ويُكيف المعطيات المستمدة وفقا لحداثة العصر مع الحفاظ على الثابت من الأحكام، وهذا ما يُعبر عنه المنطق الإسلامي بفقه التجديد، فالإسلام يمتاز بالثبات والمرونة وعليه فمن الخطأ أن ننظر لأصول الخطاب الدعوي بنظرة تاريخية دون اعتبار لعصرنة الزمن ومتغيرات الواقع المعيش، فربما ما كان معروفا ومألوفا في حقبة من الزمن المنصرم يعد تطرفا عند أناس في الفترة المعاصرة نظرا لتسارع الوقت وتطور الحياة، وقد نشاهد هذه الإشكالية عند بعض المتشددين –دون غيرهم– المتحيز لفكره المنحرف لما يرجع مُستند الحقائق الدينية إلى زمنها الأول، ففي هذا السياق يقول مصطفى بن حموش: "إن الرجوع إلى النصوص كثيرا ما دفع السلفي لا شعوريا إلى الارتباط بصورتها التاريخية التي طبقت فيها في الزمن الأول من الإسلام، أو الأسباب والبيئة التي نزلت فيها تلك الأحكام ويبدو هذا جليا في أحاديث الشباب وتفاصيل حياتهم اليومية، فيقارن أحدهم رئيس الدولة بالخليفة عمر بن الخطاب، ويرى في الزوجة صورة عائشة أم المؤمنين، وغيرها من الصور التاريخية المشهورة القابعة في مخيلته..." (أحمد محمود عيساوي، 2020م، 61، 62)، وعليه فهذا الأمر يعيق لا محالة من استجابة الخطاب الدعوي ويزيد من حدة النفور والإعراض عن الدعوة الإسلامية.

وللخروج من هذه المشكلة لابد من نظر الدعاة إلى سنة الله تعالى في مجرى الزمن ومتغيرات العصر ولابد من دراسة فقه الواقع واسقاط النصوص الشرعية عليه وفق تأويل سليم لنصوص الخطاب الدعوي، وعليه فالتفسير الحقيقي للخطاب الديني يتطلب من المفسر الإحاطة بما يتطلبه التفسير من علم اللغة وصولا إلى الواقع الذي نزلت فيه ومن أجله الآيات، لألى يخطأ في تأويل نصوص الخطاب الدعوي.

3.8ـ عدم الاهتمام بالخطاب القرآني في مخاطبة الناس:

لقد أدت مشكلة "عدم الاهتمام بالخطاب القرآني في مخاطبة الناس" (عزة مختار، 2017) –حينما تعددت جنسيات الدعاة واختلفت مشاربهم المعرفية، واعتزاز كل واحد برأيه في مخاطبة الناس وعملية اقناعهم دون الرجوع إلى الأسلوب الأمثل في القرآن الكريم– إلى ضعف استجابة الخطاب الشرعي من قبل المدعوين، وذلك عندما أهملت الأساليب القرآنية في الدعوة، لم يتكيف الدعاة مع طبيعة الخطاب القرآني وواقع الناس، وفي مقابل هذا جاء الخطاب الدعوي ضمن عديد النصوص القرآنية مكلل بالإحاطة لشتى مقتضيات كل البشر على اختلاف أصعدة الأزمنة والعصور، وفي هذا يبقى حق اسقاط هذه النصوص وأحكامها على صعيد الدعوة والتشريع على حسب طبيعة المجتمع المدعو، ولتحديد أسباب هذه المشكلة

نجد التفاف الداعية وتمركزه حول أدعائيات أهوائه ضنا منه قد يصل إلى هداية الناس، وهو الوقت نفسه لا يدري أنه يعيق حركة الدعوة وفق ما أمر به الشارع الحكيم قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)(سورة البقرة: 170)، ولو أنهم اتبعوا ما أنزل الله عز وجل وارتضوا بمناهجه لكان أقوم وأهدى سبيلا، وأن مخالفة منهج الله تعالى يترتب عليه فحوة الآية الكريمة في قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)(سورة محمد الآية 28)، فأصبحت أعمالهم –في سياق الآية– (كرماد اشتدت به الرياح في يوم عاصف) لقوله عز وجل: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ)(سورة إبراهيم:18)، ولحل هذه المشكلة وتفادي أخطارها يجب تتبع منهج القرآن الكريم في محاطبة الناس والتأسي بالسيرة النبوية في تطبيق منهج القرآن أثناء دعوة الناس إلى الإسلام وإلى كل ما ينفعهم ويحقق مقتضى توحيد الله عز وجل.

فالإحاطة بظروف المدعو وواقعه من أولويات عمل الدعاة في الدعوة؛ لكي يتسنى لهم معرفة ما يناسبهم من الأسلوب الأمثل في القرآن الكريم وما يحقق الاستجابة الفعالة والقوية للخطاب، فالاهتمام بالنسق القرآني في مخاطبة الناس ضرورة حتمية دعوية في منهج الدعاة، وهي بعد إذن الله تعالى ومشيئته كفيلة بالامتثال لما يدعو إليه الشارع دون عناء، فالله تبارك وتعالى لم يترك الناس عبثا –كما يدعيه خصوم الإسلام– بل ارتضى لهم منهج رباني يرجع إليه الأمر الدعوي كله في تحكيم مسائل الاستجابة للخطاب الديني بصة عامة، وهذا المنهج الأخير استمدت منه ثلاثة مناهج تعين الدعاة على تقديم ما يتماشى مع طبيعة المدعو، وهي على التوالي: المنهج العقلي والذي بدوره يرتكز على العقل، والمنهج الحسي أو التجريبي وهو النظام الدعوي الذي يعتمد على الحس، والمنهج العاطفي الذي يرتكز على العاطفة والقلب لا سيما أصحاب القلوب الضعيفة، يعينهم على معرفة حقيقة حياتهم الدنيوية والحياة الغيبية، وعليه إن الاهتمام بأساليب القرآن الكريم في العمل الدعوي يبقى أفضل طريق لدعوة الناس لمن أراد الدعوة على الوجه المطلوب، وأن الهداية بيد الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

4. خاتمة

بعد هذه الجولة في رحاب دراسة الخطاب الدعوي والمعاصر وبيان أهم مشكلاته التي تعتريه من زاوية لأخرى نستنتج النتائج التالية.

1- يعد الخطاب الدعوي المعاصر إحدى أهم الألوان الخطابية في القرآن الكريم.

2- لقد أدى تأويل النصوص الشرعية عند بعض الدعاة وخاصة المتشددين والعاملين بظاهر النصص لاسيما فيما تتعلق بمسائل الأمر والنهي إلى تأويلات بعيدة عن مقتضى نزول الآيات، ما أدى بذلك إلى خلق فوضى دعوية على مستوى دائرة الحركات الإسلامية المعاصرة .

3- البعد عن المنهج القرآني في مخاطبة الناس زاد من نفور المدعو لأمر الدعوة.

4- بعد الخطاب الدعوي عن متطلبات الواقع ومقتضيات أمره أدى بذلك إلى خلق مشكلة كبيرة وهي مجافات الواقع حيث يترتب على هذه الأخيرة تفشي شتى أنواع الظواهر السلبية في المجتمع، ولحل هذه المشكلة لابد على الداعية أن يجمع في دعوته بين النص ومتطلبات الواقع.

5- من أبرز المشكلات الدعوية التي أدت وساهمت في بناء الفوضى الدعوية وفقدان الثقة بين الداعي والمدعو عملية التزوير الناعم، ما أدى ذلك إلى إبداء جملة من الحلول المبينة عقب المشكال المطروحة وأهم هذه الحلول إحاطة الداعية قبل نشر رسالته بواقع المدعوين وأسقاط النصوص الشرعية بما يتناسب مع طبيعة الموضوع.

6- للحد من هذه المشكلات لابد من إبراز حلول تزيد في استجابة الخطاب الدعوي وهي على التوالي:

أ- الاهتمام بفقه الواقع ودراسته دراسة ميدانية والعمل على إسقاط النصوص الخطاب وفق ما يتطلبه الواقع.

ب- تجديد الخطاب الديني بما يتناسب مع روح العصر وما يتفاعل إيجابيا معه.

ت- استغلال التكنولوجيا الحديثة في خدمة الدعوة وإيصال الدعوة وتوضيح مقاصد النصوص الشرعية.

ث- العمل على تماسك وحدة الحركات الإسلامية والعمل فيما بينها على استعادة حلم الخلافة الإسلامية قولا وعملا.

ج- الاهتمام بفقه الأولويات وفقه الموازنات في الخطاب الدعوي.

ح- الاهتمام بالتخطيط الاستراتيجي في عمل المؤسسات الدعوي والتي بدورها تساعد الدعاة على تنظيم العمل الدعوي وما يضمن لهم استجابة فعالة للخطاب الدعوي.

5. قائمة المراجع

1- أحمد مختار عمر (2008م)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، القاهرة: عالم الكتب، ط1.

2- ابن منضور (1414 هـ)، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.

3- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري،(1998م)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1.

4- عبد الرؤوف بن المناوي، (1990م)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة: دار عالم الكتب، ط1.

5- عبد الحليم محمود، (1990م)، **فقه الدعوة إلى الله**، المنصورة، دار الوفاء للنشر والتوزيع، ط:1.

6- أبو منصور محمد ابن أحمد الأزهري، (2001م): **تهذيب اللغة**، تحقيق محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1.

7- علي محفوظ، (1979م)، **هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة**، دار الاعتصام، ط:9.

8- محمد الغزالي، (2005م)، **مع الله دراسة في الدعوة والدُّعاة**، نهضة مصر للطِّباعة والنشر، ط:6.

9- يوسف القرضاوي، (1983م)، **الخصائص العامة للإسلام**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2.

10- أحمد غلوش، (1987م)، **الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها**، القاهرة، دار الكتاب المصري،ط:2.

11- إياد كامل إبراهيم الزيباري: سياسة التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية (سلسلة الرسائل والدراسات الجامعية).

12- ابن قيم الجوزية، (1423هـ)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى.

13- مسلم النيسابوري، (1991م)، صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1.

14- محمد بن إسماعيل البخاري، (2002م)، **صحيح البخاري**، دمشق، بيروت: دار ابن كثير.

15- سلمان العودة، (2002م)، **الإغراق في الجزيئات**، إسكندرية: دار الإيمان للنشر والتوزيع.

16- أسماء علي وآخرون، (2013م)، **بشأن الخطاب الإسلامي ومميزاته والتحديات التي تواجهه**، موقع فلسطينيو 48، تاريخ الإضافة: 2013/09/28م، تاريخ الاطلاع: 2021/06/10م، رابط الموضوع: http://plsnew.nadsoft.co/?mod=articles&ID=1169132

17- عدلان عطية، (2013)، **تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال**، مجلة البيان، تاريخ الإضافة: 2013/30/7، العدد: 314، تاريخ التصفح: 2020/10/17م، رابط الموضوع: http://www.albayan.co.uk/

18- ابن قيم الجوزية، (1996م)، أعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت: دار الكتب العلمية.

19- أحمد محمود عيساوي: **المدرسة التقليدية السلفية اللامذهبية**، (2020م)، إعداد وتقديم، خضير محمد، سامي للطباعة والنشر والتوزيع.

20- عزة مختار، (2017)، **مشكلات الخطاب الدعوي ووسائل تجديده**، شبكة بصائر، تاريخ الإضافة 05 أغسطس 2017م، تاريخ التصفح: 2020/10/17م، رابط الموضوع: https://basaer-online.com/